الرجل وتربية الطفل

للآنسة ميرفا عبيد

لا تحدقن طويلا أيها القارئ الكريم فى هذا الموضوع ، ولا تتهمن عمال المطبعة ظلما بالخطأ فى نقل كلماته . فلقد اعتدت حقا أن ترى موضوعا شبيها "وهو المرأة وتربية الطفل" حتى ظننت أن هاتين الكلمتين متلازمتان وأن استبدال احداهما بكلمة أخرى تعد على القوانين الطبيعية وتغيير للنظم الاجتماعية .

ولكنى أعتقد أن الوقت قد أزف لمحو خطأ شائع بين الكثيرين فى تفكيرهم ومن ثم فى خطتهم فى الحياة، وضحايا هذا الخطأ هم أطفال أبرياء يحرمون من استكمال أسباب التربية التى تؤهل الفرد ليكون شخصيته كاملة قوية . فلقد نادى المصلحون مشكورين بتربية الفتاة واعدادها لتكون أهلا للقيام بمهمتها الكبرى فى المستقبل وهى تربية النشء تربية صحيحة ، وتحقيق هذه الدعوة هو أول عماد يقوم عليه بناء الأسرة المصرية ومن ثم الأمة بأسرها ، وليس لنا إلا أن نطرى تلك الدعوة ونضيف اليها أننا لا نزال محتاجين الى تفهم " التربية " بكامل معانيها ، من مادية تتعلق بتربية الجسم وروحيته ، تتعلق بالعقل والخلق .

غير أننا إزاء هذه الحاجة الملحة ، حاجة تربية الفتاة واعدادها لمستقبلها كأم ، غاب عنا تماما الالتفات الى الطرف الآخر فى الموضوع ، ألا وهو تربية الفتى و إعداده ليكون أهلا لأن يشغل مقامه كأب .

وهل الأبوة تحتاج الى إعداد غير تعلم عمل أو تقلد وظيفة تكفل للأسرة المال اللازم للمعيشة ؟

نعم ، فالرجل فى بيته ليس آلة لجلب النقود وكفى ، بل هو أب بكل ما فى كلمة الأبوة من معان سامية ، أب فى الحنو على أطفاله — ولكن إلى حد ما ، وأب فى القسوة عليهم — ولكن إلى حد ما أيضا . وليعرف الأب كيف ومتى يحنو ، وكيف ومتى يقسو ، يجب عليه أن يتفهم نفسية الطفل تفهما صحيحا قائما على دراسة مستوعبة للتجارب العلمية النفسية التى صارت من مميزات عصرنا الحاضر .

وليس معنى ما تقدم أن تتخلى المرأة عن تبعتها الأولى فى تربية الطفل ، بل أن يفهم الرجل أيضا واجبه فى هذه الناحية ، حتى يكون عونا لزوجه فى القيام بهذه المهمة النبيلة ، أو على الأقل لكيلا يصير عاملا سلبيا فى التربية فيفسد سياسة الأم وخطتها .

وفى هذا المقام أذكر ملاحظة هامة لحضرة الدكتور بهمان ، طبيب الأمراض العقلية ، فى محاضرة له ، وهى إحدى محاضرات السلسلة الثقافية النسوية التى نظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأميركية للسيدات — وليته دعا اليها الرجال أيضا — ذكر الدكتور بهمان فى كلامه عن "حياة الأسرة الاجتماعية وعلاقتها بالاضطرابات العصبية" إن من أكبر العوامل المسببة للاضطرابات العصبية عدم الاستقرار والثبات فى البيت ، ثم قال إنه إذا اختلف الزوجان فى الرأى ، كأن يعارض الأب الأم فى كيفية معاملتهما للطفل ، فيعاقبه الأب مثلا بعد أن تعفو عنه الأم تولا أو بالعكس ، نشأت فى الطفل صفات التردد وعدم الاستقرار التى تؤثر على جهازه العصبى فتجعله معرضا للأمراض النفسية فى مستقبله .

فلا شك إذا أن معرفة الأب لعلم نفس الطفل لازمة له لزومها للأم ، حتى يتفاهم الاثنان على كيفية معاملتهما للطفل ، ويتفقا على اتباع الأساليب القويمة فى تربيته و إعداده إعدادا كاملا جسميا ونفسيا للمستقبل .

ولذا صار من أهم العلوم التى يجب أن تكون ضمن منهاج الدراسة الثانوية للبنين والبنات علم النفس العام وكذلك علم نفس الأطفال .

ولكن هل يراد بهذا الاقتراح إرهاق الطلبة بعلمين لا موضع أو لا ضرورة لهما ؟ كلا فهما علمان أساسيان للحياة — حياة كل فرد الشخصية والاجتماعية . فكيف يسأل الطالب الثانوى الذى قد يصير محاميا أو ميكانيكا أن يعرف شيئا ولو يسيرا عن علم الجغرافيا أو علم طبقات الأرض ، ولا يطالب بمعرفة شىء عن "النفس" ، وهو علم يحتاج اليه فى حاضره ومستقبله ، بغض النظر عن نوع هذا المستقبل ؟ ! فقد يهمل الطبيب بعض الدروس الثانوية بعد الانتهاء منها لعدم حاجته اليها عمليا ؛ وقد ينسى المحامى علوما أخرى لا تمت الى عالم القانون الذى يعيش فيه بصلة ، وقد لا يجد المزارع لذة إلا فيما يتعلق بأرضه وزرعه ، ولكن الجميع مهما اختلفت مشاربهم وأحوالهم و بيئاتهم فى حاجة متساوية الى علم واحد هو علم النفس والى فرع من أهم فروعه وهو علم نفس الاطفال . وذلك لأن كل واحد من هؤلاء ينتظر أن يصير يوما أبا وللأبوة واجباتها الروحية قبل المادية .

ميترفا عبيد